
الهزيمة النفسيّة
عِندَ المسلمين
تأليف
دكتور/ عبد الله الخاطر
رحمه الله تعالى
تقديم
محمد العبده



الهزيمة النفسية

عند المسلمين

تأليف

دكتور / عبد الله الخاطر

رحمه الله تعالى

تقديم

محمد العبده



المقدمة

الحمد لله القوي العزيز والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذا هو الكتاب الثاني للأخ الدكتور عبد الله الخاطر ـ رحمه الله وغفر له ـ وهو في الأصل محاضرة ألقاها في بريطانيا عن الهزيمة النفسية عند المسلمين. وما من زمن كهذا العصر يبين هزيمة المسلمين الفكرية والعسكرية والنفسية، كما أنه في نفس الوقت يبرز أسباب تلك الهزيمة بوضوح وجلاء؛ مما يثير الإلحاح والحاجة للحديث عن موضوع كهذا.

إن الانحراف بالكفر والخروج عن الدين صراحة ومجاهرة، قد يكون أمراً بشرياً واقعاً في حياة الناس ولكن أن يعيش المسلمون حياة النفاق، فلا هم لهؤلاء ولا لهؤلاء، ويسلكوا درب التذبذب، فلا وضوح في سلوك ولا

هدف ولا منطق، ويمسكوا بالعصى من الوسط، فلا هم في مرضاة الله مخلصين، ولا هم عن مرضاة أعداء الله كافين.

فهذه حقيقة الهزيمة النفسية.

إن الذي يختار عقيدة ما مهما كانت منحرفة، ويرفع لواءها، ويكافح من أجلها، ويحيا لها بوضوح وقوة وصراحة؛ إن هذا المرء قادر على اتخاذ القرار الحاسم وتنفيذه والتضحية في سبيله. ولكن أن يزعم زاعم أنه متخذ لقرار ما في القناعة بعقيدة ما، ثم يتظاهر بغيرها ويؤيد ما عداها ويتحدث عن أخلاق لا تمت لها بصلة ويتزيا بغير زيها، فهذه هي الهزيمة النفسية. يقول تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾[1].

والذين يتذبذبون غير قادرين على تحديد الأولويات، فهم يعيشون حياة الفوضى والخلط، لأنهم لا يملكون الميزان الذي ترتبط به القضايا، ألا وهو القرار الأول في تحديد مسار

(١) البقرة ٨، ٩، ١٠.

الحياة، حيث تتحدد بذلك الأولويات. فالمنافقون وأهل دموع التماسيح والملمس الناعم، يشغلهم ألا ينكشفوا وألا يتعروا، ويشغلهم أن يعيشوا بأمن وسلام مهما كان الثمن والضريبة، ويشغلهم أن يأكلوا ويتمتعوا وإن انسلخوا من كرامتهم وإنسانيتهم. فأين الأولويات في حياة هؤلاء؟. يقول تعالى: **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾**[1].

ووجه آخر لهؤلاء، هو أنهم يريدون أن يتسموا بالإسلام، ويرفعوا شعاره، ويظهروا به؛ لأنه يحقق لهم مكاسب معينة، وفي ذات الوقت هم يعيشون حياة الشهوات والظلم والخيانة والعهر والانحراف؛ ولذا فهم غير قادرين على مواجهة الصراع النفسي الذي يعتلج في كل نفس بشرية، ويتردد بها بين الاستقامة وبين الضلال. وهذه هي الهزيمة النفسية. يقول تعالى: **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾**[2].

ومن أصناف أولئك صنف أشد هزيمة، ألا وهم الذين

---

(١) التوبة ٤٦.

(٢) البقرة ١٤.

يعجزون عن مواجهة المشكلات. يعجزون عن الاستبصار بها، ويعجزون عن الاعتراف بها ويعجزون عن تقدير دورهم وارتباطهم بها. وهذه هزيمة نفسية أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

وأشد الناس هزيمة نفسية، الذي يعمل لغير هدف، ويجهد ويكدح لغير غاية محددة معلومة مرسومة وليست العبرة بالغايات العامة، التي يتساوى فيها الباذل، وغير الباذل، والمجاهد وغير المجاهد، ولكن العبرة بالهدف والغاية التي تميز هذا عن ذاك. فالقاعدون والمجاهدون غايتهم مرضاة الله وعبادته، ولكن المجاهدين يحققون بجهادهم أن يكون الدين كله لله وألا تكون فتنة. فليس أشد هزيمة ممن يعمل ويجاهد لا ليكون الدين كله لله ولكن لتكون فتنة ويهدم الدين، وذلك لضياع الهدف والغاية المحددة الواضحة، فهذا لا يملك اتخاذ القرار، ولم يحدد الأولويات، وكان أعجز من أن يعترف ويواجه المشكلة، فلن تجد أشد منه هزيمة نفسية.

وفي واقع المسلمين اليوم تبرز هذه الأصناف وغيرها من

---

(١) التوبة ٦٥.

المنهزمين نفسياً على كل صعيد وشريحة من شرائح المجتمع، مما يجعل هذا الجهد الذي قام به الدكتور الخاطر ذا قيمة كبيرة، كمحاولة مباركة للإسهام في تبصير المنهزمين، والسعي في معالجتهم من هذا الداء، دعماً لنهضة الأمة في تجديد حياتها بالإسلام.

أسأل الله العلي القدير أن يثيب الدكتور على جهده، وأن ينفع به القراء، وأن يحسن قصدنا، إنه سميع مجيب.

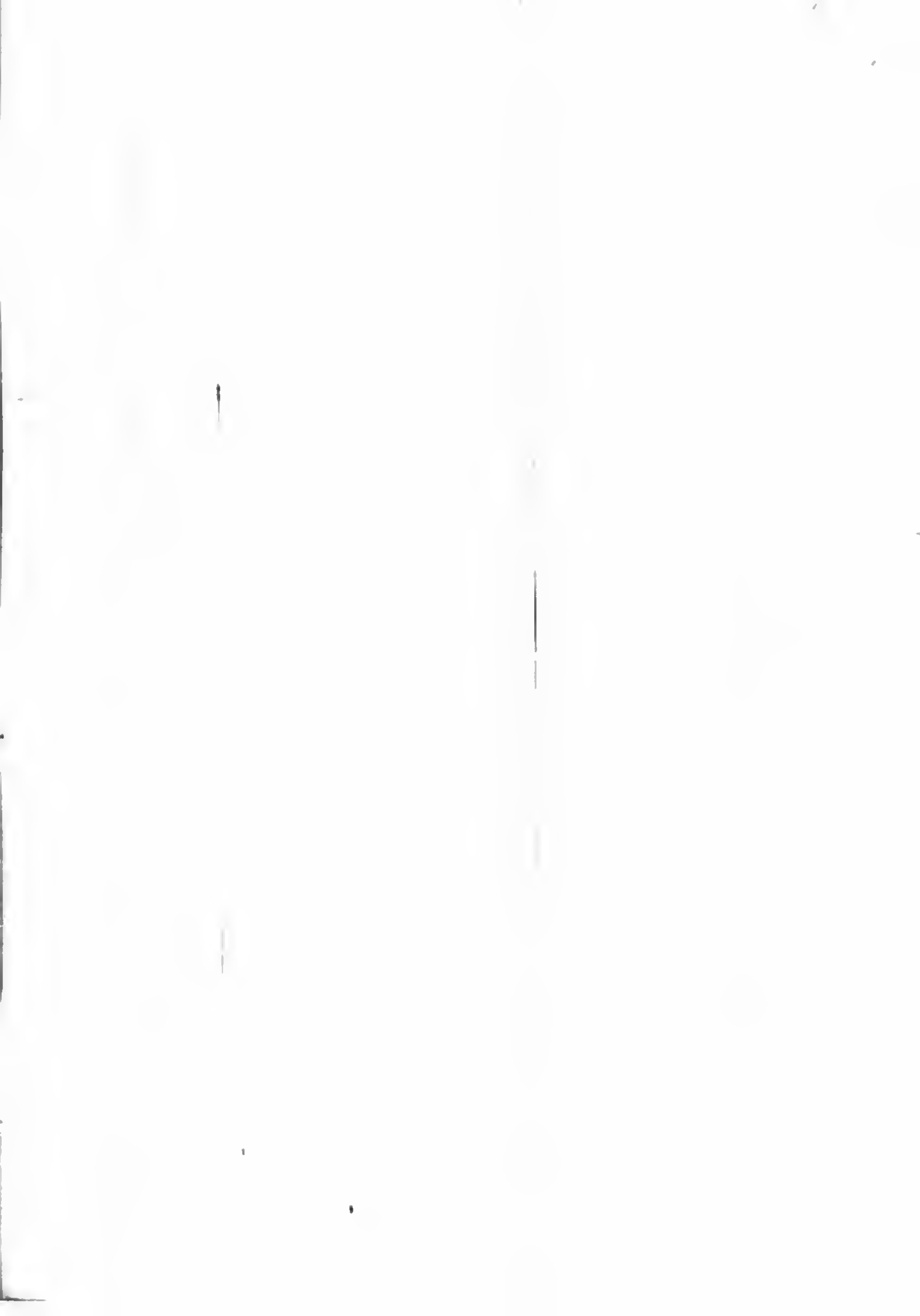
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.



وكتبه في ١٢/ ١٠/ ١٤١١هـ

الدكتور: عبد الرزاق بن محمود ياسين الحمد

استشاري الطب النفسي - كلية الطب
والمستشفيات الجامعية
جامعة الملك سعود بالرياض



ترجمة المؤلف

هو الأخ الدكتور/ أبو مبارك عبد الله بن مبارك بن يوسف الخاطر من تميم، وهو من سكان الدمام في المنطقة الشرقية.

- ولد عام ـ ١٣٧٥ هـ ـ في مدينة الظهران.
- تخرج من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.
- عُين معيداً في كلية الطب ـ جامعة الملك فيصل بالدمام ـ في قسم الطب النفسي.
- ابتعث إلى بريطانيا للدراسات العليا في معهد «مودزلي» للطب في لندن عام ١٩٨٣م، وحصل منه على شهادة «البورد» في الطب النفسي عام ١٩٨٥م.
- حصل على شهادة البورد الزمالة من المجلس الطبي الأردني عام ١٩٨٧م . . . إلخ.

توفي رحمه الله: فجر يوم السبت الموافق ٢/٦/١٤١٠هـ بنوبة ربو حادة، رحمه الله رحمة واسعة. أ. هـ.

باختصار من بحث الحزن والاكتئاب



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الذي يحضر مثل هذه الاجتماعات ويرى هذه الوجوه يُسر كثيراً ؛ لأنه يرى شباباً يقبل على دينه ، ويبحث عما ينفعه .

ولذلك أقول : إن هذه المحاضرة للشباب ؛ الذي يمتلئ طموحاً وحيوية ونشاطاً ، فيجد في طريقه بعض المثبطين الذين يميلون إلى التكاسل .

هي أيضاً للشباب الذي يعلم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

لهذا الشباب الذي يميل إلى التفاؤل ويبتعد عن التشاؤم والمتشائمين.

لهذا الشباب الراغب في التغيير، فيقابل الكهول الذين برَّروا كسلهم وتخاذلهم وانهزامهم بأنه روية واتزان وتعقل.

فانهزموا وهم يريدون هزيمة غيرهم.

لهذا الشباب الذي يعرف أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة.

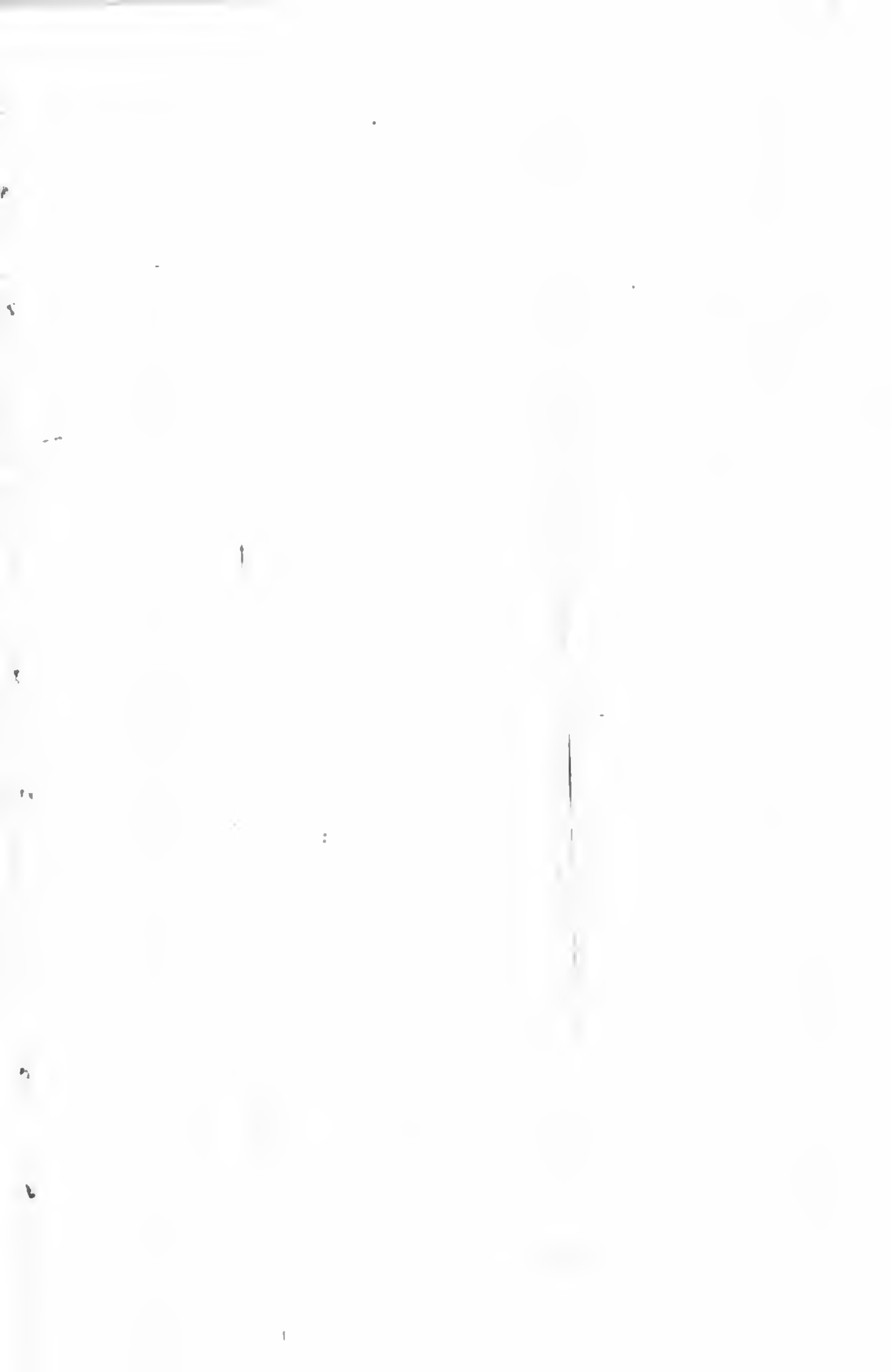
أقول إن هذه المحاضرة هي: الهزيمة النفسية عند المسلمين، ولكي أكون دقيقاً أقول: عند غالب المسلمين؛ لأنه لا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ على الحق منصورة لا يضرها من خالفها.

فأنا هنا لست ميئساً فأتحدث عن واقع المسلمين السيئ. وإنما مشخصاً لمرض نفسي عند المسلمين أو عند غالبيتهم بصفتي طبيب نفسي، وبصفتي أحد المسلمين وأعيش واقعهم السيئ.

هذا المرض الذي أصيب به غالب المسلمين له أعراض - أي مظاهر - وله أسباب وله علاج.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعينني على عرض هذا المرض، والبحث عن أسبابه وتشخيصه، ثم صرف العلاج الناجع له، كما ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وكما وضحه الرسول ﷺ، لا كما يقول الغربيون.





أعراض هذا المرض ومظاهره

العَرَض الأول:

اليأس من إمكانية تغيير وضع المسلمين، ويوجد عند بعض الناس فحينما تحدث أحدهم تجده يائساً ويستشهد بأمثال شعبية، فيقول: «أنت تُؤَذّن في خرابة» أي في بيت خرب، لا أحد يسمع لك.

وأناساً آخرين يقولون: «أنت تنفخ في قربة مخروقة» أي أن النفخ في القربة المخروقة لا ينفع؛ تنفخ من هنا ويخرج من هناك، فأنت تقول كلاماً يسمع من هنا ويخرج من هناك.

فكل هذه الأمثلة التي يستخدمها بعض المسلمين ليبئسوا النشيط، ويبئسوا الشخص الذي يريد أن يغير وينكر المنكر.

فتجد منهم هذه الهزيمة النفسية الهزيلة.

وقد قابلت كثيرين، ومنهم طلبة علم ومشايخ، فتقول للواحد منهم: لماذا لاتقيم درساً للمسلمين تعلمهم أمور

دينهم؟!

يقول: «ما أحد حولك»، ما أحد يستمع إليك، وتجده في الواقع هالكاً يائساً.

وقد وصف الرسول ﷺ هذه النفسيات وصفاً دقيقاً في الحديث الذي رواه مسلم، يقول: « **إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلَكُهُمْ** »(1) أو بالفتح « **فهو أهلَكَهُمْ** ».

فإذا قال: «إن الناس هلكوا» فهم ضائعون وفي ضلال، فهو أكثرهم ضياعاً، وأكثرهم ضلالاً، وأكثرهم هلاكاً فهو أهلكُهم بالضم.

أما « أهلَكَهُم » بالفتح: أي جعلهم هالكين وليسوا كذلك، «كما قال الإمام النووي، رحمه الله تعالى»(2).

فهذا حديث جميل جداً يوضح هذه النفسية المتشائمة إذا

---

(1) أخرجه مسلم، في كتاب البر، باب «النهي عن قول هلك الناس» ج١٦ / ص ١٧٥. (شرح مسلم، المجلد السادس، طبعة الرسالة).

(2) ج١٦/ ص١٧٥، ١٧٦ (شرح مسلم، المجلد السادس، طبعة الرسالة).

قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم.

هذا المظهر يظهر في كثير من الناس الذين يتخاذلون ويبتعدون عن إنكار المنكرات، أو عن الدعوة إلى الله بحجة أن الناس لا يستمعون، فتجده يائساً. وهم بذلك يفوتون مصلحة عظيمة في نشر هذا الدين والأمر بالمعروف وإنكار المنكرات.

العَرَض الثاني:

تجده عند الناس الذين ينظرون إلى من دونهم، ولا ينظرون إلى من هو أفضل منهم (١).

---

(١) هذا ولا شك في أمور الخير والطاعة والعمل الصالح؛ كالجهاد والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما في أمور الدنيا؛ كالمال، والجاه، ومتاع الدنيا، فالأصل النظر إلى من هو دون المرء في ذلك حتى يعرف نعمة الله عليه فيشكرها ويحفظها ولا يبخل بها، ولا ينشغل بالتحسد والانبهار بما يملكه من هم فوقه في أمور الدنيا.

يقول الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [طه: ١٣١].

وبذلك يرتاحون لما هم فيه فيبررون واقعهم بأنهم أفضل من غيرهم ممن دونهم.

العَرَض الثالث:

مظهر التقليد لا الابتكار.

فتجد بعض المسلمين لا يفكر في قضية الابتكار والاختراع في النواحي العلمية، ولا يفكر في يوم من الأيام أن يكون مخترعاً أو مبتكراً أو قائداً في هذا العالم.

حتى من النواحي التقنية، فتجده دائماً مقلداً.

وهذا تجده في كثير من الدول حتى إنها لا تستطيع أن تصنع أموراً بسيطة من حاجياتها، بل وتستورد كل شيء، فتبقى تابعة لغيرها؛ وهذا من الهزيمة والضعف وعدم المعرفة لمكامن القوة عندنا.

العَرَض الرابع:

يتجلى هذا المظهر واضحاً فيمن يدرس في البلاد الغربية أو الشرقية، ثم يرجع ومعه سلبيات وإيجابيات تلك الدول، وهذا يعبر عن نفسية منهزمة عند هذا الإنسان، فلم يعد يفرق بين الغث والسمين، ولم يعد يفرق بين ما عندهم من علوم

دنيوية بحتة نحتاج إليها، ـ وهي طيبة ونافعة ـ وبين عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم إن كانت لهم أخلاق. لم يعد يفرق بين هذا وهذا، فيأتي بكل ما عند الغرب أو الشرق من سلبيات وإيجابيات.

والحقيقة أن الغرب تقدموا من جهة الآلة، ولم يتقدموا من جهة البشر، فالرسم البياني يصعد في جانب الآلة، فهم يخترعون آلات كثيرة، ولكن البشر عندما تقوم سلوكهم وعاداتهم، وتقوم حياتهم الاجتماعية تجد أنها في تدهور.

فالتقدم الذي عندهم هو تقدم الآلة، لا تقدم البشر، ونحن نملك تقدم البشر من خلال العمل بديننا، وأما تقدم الآلة فنأخذه منهم [لنسخره في طاعة الله].

العَرَض الخامس:

وهو رضا كثير من الناس بواقع المسلمين الضعيف ـ المتمثل في الجانب السياسي وغيره.

فتجده يسعى في قبول الحلول الاستسلامية أو الحلول الانهزامية، أو أرباع الحلول أو أنصاف الحلول.

فيقولون مثلاً: ـ وهذا تجده عند كثير من الناس ـ إسرائيل

حقيقة واقعة، إذن فلابد من التعامل معها. فانهزموا وفقدوا صفة العلو، قال تعالى: ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[1].

فصفة العلو هذه فقدوها.

فأصبحوا يرضون بالواقع وإن كانوا منهزمين، بدلاً من أن يكون هناك استعداد لجولة وكرة أخرى في المستقبل.

وفي جانب العلماء نجد الرضى بالواقع في الكثير من الفتاوى والدروس والمواعظ التي تقدم لتبرر الواقع لا لتغيره؛ نجدهم يبحثون عن المعاذير لتبرير واقع المسلمين دون أن يبحثوا البحث الجاد عن وسائل لتغييره، وهذه أيضاً توحي بنفسية منهزمة ضعيفة تريد أن تعطي الفتاوى للواقع الموجود، بدلاً من أن تقدم شيئاً للمستقبل.

العَرَض السادس:

يتجلى في كثير من الشباب، وهو إخفاء الهوية الإسلامية، وفقدان العزة وضعفها عند المسلمين، فتجده يستحي أن يقول هذا حلال وهذا حرام، خاصة إذا واجه

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

أناساً غير مسلمين فعندما يقدمون له شيئاً حراماً أو يدعونه إلى شيء حرام، تجده يقول شكراً . . . أنا لا أريد، أو شيئاً من هذا، فتحس أنه لا يريد أن يبرز هويته بدلاً من أن يقول: هذا حرام عندنا نحن المسلمين.

فتجد الكثير من الناس يخشى أن يبرز هذا خشية أن يتهم بالتعصب أو التطرف أو الأصولية: «Fundamentalist» وتجدها تتجلى أيضاً في لباس بعض المسلمين عندما يخرجون إلى بلاد الكفار وإذا بهم يتزيّون بكل شيء، حتى القبعة الإنجليزية كيف يلبسها، ويحرص على طريقة اللباس بحذافيرها.

فهو يسعى لإرضاء الغربيين حتى في طريقة لباسه وحياته ليبدو متفرنجاً، مما يدل على نفسية منهزمة ضعيفة لا تعتز بشخصيتها وبما عندها.

ولعلي قد ذكرت لكم مرة سابقة قصة ذلك الإنجليزي الذي أسلم واعتز بدينه، وأعرضُها مرة أخرى ـ فلا بأس بذلك لمن لم يسمعها ـ ذلك الشاب الإنجليزي التَقيت به في جنوب لندن، في منطقة اسمها جلفورد، أسلم وبعد إسلامه بثلاثة

أسابيع وجد وظيفة في بلدة أخرى، فشباب الجمعية الإسلامية أرادوا اللحاق به وإقناعه بأن لا يذكر لأصحاب الوظيفة بأنه قد أسلم؛ كي لا يكون ذلك سبباً في عدم قبوله في هذه الوظيفة؛ فيتأثر نفسياً فيرتد عن دينه، فما استطاعوا اللحاق به حتى ذهب للمقابلة الشخصية لتلك الوظيفة، فوجد أناساً كثيرين غير مسلمين يسابقون على نفس الوظيفة، فلما دخل للمقابلة الشخصية ذكر لهم بأنه قد أسلم وكان اسمه «رود» وأصبح اسمه «عمر»، ويقول أنا غيرت ديني وغيرت اسمي وأريد أن يكون لي وقت للصلاة إذا أنتم قبلتموني في هذه الوظيفة.

فما كان منهم إلا أن قبلوه في تلك الوظيفة، وكان الأمر الأعجب عندما قالوا له: إننا نريد في الوظيفة رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات وأنت عندك قدرة عظيمة جداً في اتخاذ القرارات، فقد غيرت دينك وغيرت اسمك.

فهذا الإنسان يبرز هويته الإسلامية بعزة؛ لأنه أخذها بعيداً عن الضغوط الاجتماعية التي توجد عندنا، نحن نحسب حساباً لأولئك الفسقة، ولأولئك المنهزمين ضعاف النفوس الذين لا يطبقون الإسلام، فنحاول أن نصل لأنصاف الحلول

معهم فلا نشعرهم بأننا متعصبون، وأننا لابد أن نلتزم بوقت للصلاة.

فيحاول هذا الإنسان أن يبحث عن طريقة يهادن بها أولئك ويصل إلى أنصاف الحلول.

وبذلك تكون الهزيمة النفسية التي تجعل الإنسان لا يبرز هذه الهوية إبرازاً قوياً.

الذين يسلمون حديثاً يريدون أن يتمسكوا بكل شيء له علاقة بهذا الدين ـ بدون وجود الضغوط الأخرى ـ فيقول أحدهم: ما دام أنني أسلمت وهذا اللباس ـ مثلاً ـ إسلامي، فلماذا لا ألبسه؟!..

فتجده يعتز به، فبعضهم يلبس العمامة، وبعضهم يلبس الثياب في أي مكان، ويعتز بذلك، وهذه العزة تدل على التزامه بهذا الدين، وأنه رغب في تطبيقه كله. وفي المقابل تجد المسلمين أبناء المسلمين ضعافاً في هذا الجانب.

وهنا أذكر قصة من قصص الصحابة، تذكر لكم وتوضح لنا جميعاً قضية العزة التي يجب أن يعتز بها المسلم، وهي قصة رائدة في هذا المجال، وهي قصة «ربعي بن عامر» في حرب

المسلمين مع فارس، وكان قائد الفرس رستم، وقائد المسلمين سعد بن أبي وقاص.

وطلب رستم مفاوضين يفاوضونه ـ لماذا جاءوا ـ وأرسل سعد بن أبي وقاص بعض المفاوضين وكان منهم ربعي بن عامر، فلما ذهب إلى رستم، قال له رستم:

«ما الذي جاء بكم ؟!

فيقول ربعي بن عامر: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ـ كان رستم يقول: ما أتعسني ليس في جيشي هذا إلا ألف غانية وطباخ، وكا ن يشعر بالتعاسة بهذا الوضع، وربعي بن عامر أتى من الجزيرة يعتبر من البدو الذين لا توجد عندهم تلك الحضارة، بالمقارنة بما عند رستم من الحضارة المادية، ومع ذلك يقول له ربعي: من ضيق الدنيا إلى سعتها ـ ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعُوَهُم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله ؟! قال: الجنة لمن مات على ذلك، والظفر لمن بقي، قال رستم: قد سمعت مقالتكم،

وهنا بدأ رستم يفاوض بقوله: فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا، قال ربعي: نعم. كم أحب إليكم يوم أو يومان؟ قال: لا. بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فقال له ربعي: ما سن لنا رسول الله ﷺ، أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك - يتكلم بعزة - فقال: أسَيِّدُهُم أنت؟! - قال: لا . . ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فارتخى رستم في حديثه، وسأل قومه وكأنه أراد أن ينهزم.

فقال له قومه: أتدع دينك إلى هذا الكلب، انظر إلى ثيابه.

فقال رستم: وَيْلكُم لا تنظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يَسْتَخِفّون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب».

هذه نظرة رستم لما رأى من مثل هذا الحديث . . والعرب الآن بالعكس، الآن - يهتمون بالثياب ويتساهلون في الأنساب، والعلاقات مع غير المسلمات، وأشياء كثيرة أخرى، وتجدهم يتهافتون في مقابل ذلك على الموديلات

والموضة والزينة، ويسعون إلى آخر موديل وثوب الصيف وثوب الشتاء وثوب الربيع وثوب وثوب. . أثواب كثيرة جداً تجدهم يتهافتون عليها.

الشاهد عزّة «ربعي بن عامر» في تبليغه دينه، والمؤرخون عندما يذكرون قصة «ربعي بن عامر» حين دخل «إيوان رستم» كان رستم قد أعد له مجلساً عظيماً وجعله مليئاً بالمجوهرات والزينة حتى يبهر هذا البدوي ويضعف نفسيته، ومع ذلك دخل ربعي بسلاحه، فقالوا له: انزع سلاحك، فردّ ربعي أنتم دعوتموني ولم آت إليكم، فأدخل بسلاحي وإلا خرجت، فدخل بسلاحه ورمحه، وأخذ يخرب الوسائد التي صفوها ليبهروه بها، ودخل وربط دابته عند رستم.

بهذه العزة تقبلون بما عندي أو أذهب عنكم، فأنتم الذين دعوتموني ولست أنا الذي أتيتكم. أمّا الآن فالمسلمون يذهبون إلى الكفار ويذهبون بضعف ونفسية منهزمة.

العَرَض السابع لهذا المرض:

ترك الأهداف العالية السامية، والرضى بهدف قريب محدود.

فتجد غالب العلماء أهدافهم محدودة، فعندما تحدث إنساناً، لا تجده صاحب أهداف سامية يريد أن ينشر هذا الدين في العالم كله، ولا يصل إلى تفكيره يوماً من الأيام أن يكون هذا الدين هو المسيطر على هذا العالم وهو الموجه لهذا العالم. فتجده راضياً بأهدافه البسيطة جداً، ويفتقد الأهداف العالية والهمم القوية. وكذلك الدعاة...

يكتفون بالتزام إسلامي محدود، دون أن يكون له هدف عال جداً في الالتزام والرقي في التزامه بهذا الدين، بينما نجد أن هذه الصفة - صفة الطموح العالي - مطلوبة، والله سبحانه وتعالى يمتدحها عند المؤمنين فيقول: ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾[1] أي اجعلنا قدوة للأتقياء من المؤمنين، لا للضالين فحسب، ولا للمسلمين الصالحين فحسب، وإنما قدوات للأتقياء من المؤمنين؛ وهذه همة عالية نحتاج أن نتربى عليها.

وهنا نقطة أخرى في ترك الأهداف السامية وهي أنك تجد بعض طلبة العلم [والشباب الإسلامي] يحصرون تفكيرهم بأن قدوتهم الحقيقية هي شخصية عصرية لها دور في الحياة

(١) سورة الفرقان: آية ٧٤.

[مثل شيخه مثلاً] ولا يجعل قدوته الرسول ﷺ.

بل لا يتصور هذا التلميذ أنه في يوم من الأيام سيكون أفضل من شيخه، بل يعتبر ذلك إهانة لشيخه إذا هو فكر أو طرأ على باله بأنه سيكون أفضل من ذلك الشيخ.

بل في بعض الأحيان يرى أن لهذا الشيخ قدسية لا يمكن أن يصل إليها.

فلا يفكر في يوم من الأيام أن يناقشه في قضية إذا ظن أنه أخطأ فيها، ويرى أن ذلك يقدح في قدسية الشيخ عندما يراجعه في قضية ويقول: لعل الصواب في كذا؛ وهذه فكرة خاطئة، فلو أخذنا بهذه النظرية بأن التلميذ لايمكن أن يكون أفضل من شيخه أو من أستاذه لبدأ المسلمون في الانحدار، فالشيخ في مستوى علمي وتلميذه أقل وتلميذ التلميذ أقل، وأقل، وأقل، وإذا بالناس يهبطون.

وهذا غير الواقع المحسوس، فلو حصر نفسه في هذه الفكرة لما تقدم، وهذا الذي يفكر بهذا التفكير ضعيف منهزم، فهذا لا يقدح في أولئك المشايخ والعلماء، ولا ينزل من شأنهم إذا كان تلميذهم أفضل منهم.

أسألكم هل تذكرون من هم مشايخ شيخ الإسلام ابن تيمية؟! من هم مشايخ الإمام البخاري؟! من هم مشايخ الإمام مسلم؟!

فكل هؤلاء أعلام، ولهم أسماء قوية لأعمالهم التي عملوها، لكن لا تكاد تذكر من هم أساتذتهم ومشايخهم.

ولو بقينا على تلك النظرة المنهزمة لقلنا إذن: أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يكون أفضل من شيخه فيبقى في وضع محدود، وكذلك الإمام البخاري.

إذن هذه النظرية الانهزامية خاطئة ولابد أن نتخلى عنها.

العَرَض الثامن:

وهو عرض ينتاب الكتاب من المسلمين أو الشباب المسلم الذي يناقش الغربيين، فتجد الكتاب المسلمين بعضهم يكتب كتابات حول الدفاع عن الإسلام، وكأنه متهم في قفص الاتهام، فتجد كل كتاباته دفاعاً.

لماذا تزوج الرسول ﷺ تسعاً؟!

لماذا يتزوج الإنسان المسلم أربعاً؟!

لماذا تقطع يد السارق؟!

وكيف وما الحكمة من كذا وكذا ؟!

هذه الأسئلة التي يحاول أن يجيب عليها ، دون أن يكون موقفه موقف القوة والعزة .

هذا الموقف لابد أن يكون لتجلية الأمور لطالبها ، لكن أن تكون منهاجاً عند البعض فهي تدل على نفسية ضعيفة منهزمة .

وكذلك بعض الشباب ، وخاصة أولئك الذين يخرجون إلى البلاد الغربية فيقابلون الغربيين ، تجده يسعى بلهف وشوق أن يبحث عن كتاب يقول له ما الحكمة من كذا . . وما الحكمة من كذا . . ويظن أنه بدراسته لهذه الأمور سيشفي غليل الغربيين بما عندهم .

والحقيقة أن أولئك يريدون عملاً لا أقوالاً ، فمهما رددت على أولئك المجادلين فلا يمكن أن تقنعهم . فلا يقنعهم إلا أعمال يرونها في الواقع ، ويرون أن هذا الإنسان عنده مبدأ ويطبقه ، ومستعد لتحمل المصاعب في سبيل هذا المبدأ الذي يطبقه .

فسيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ كان في كتاباته يذكر عندما

كان في أمريكا، ما كان يقف هذا الموقف، بينما كان له زملاء يقفون مثل هذا الموقف، عندما يُسأل من الغربيين هذه الأسئلة، لا يجيبهم، بل يناقشهم في أمر دينهم الذي عندهم، في عقائدهم. مثلاً رجل حامل عليك السلاح، أولاً جرده من سلاحه ثم ناقشه وأعطه ما عندك، فعندما يناقشهم فيما عندهم إذا بهم يتهاوون ويسقطون؛ لأن الذي عندهم لا يعتمد على دليل فهو هُرَاء.

ويا حبذا أن نقف مثل هذه المواقف، ولا يكون وضعنا هو دفاع المنهزم.

العَرَض التاسع:

وهو التخاذل والكسل عن تبليغ دين الله، ونشره في الأرض وهذا يظهر في ضعف بعض المنهزمين، وتفسيرهم لبعض الأدلة التي تدل على أن المسلمين سيكون واقعهم سيئاً في المستقبل، وأن حالهم سيكون ضعيفاً، وستكون الدنيا مليئة بالفتن.

وأنا أعطيكم أمثلة من هذه الأمور:

حديث البخاري، يقول الرسول ﷺ: «**يوشك أن يكون**

خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[1].

فيميل إلى هذه الأدلة التي تجعله ينعزل عن الناس، ويفسر بأننا وصلنا إلى هذا الزمن الذي فيه الفتن، فأفضل لنا أن نكون منعزلين بعيدين عن الناس.

ويأتي أيضاً بدليل آخر، قوله ﷺ في البخاري: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»**[2].

يقول الألباني في شرح هذا الحديث:

«إنه من العام المخصوص، فعندما نفهمه في ضوء الأحاديث الأخرى التي تبين وجود الخلافة الراشدة بعد الملك العضوض وغيرها، نعرف أنه من العام المخصوص».

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب «العزلة راحة من خلاط السوء» وفي كتاب الفتن، باب «التغرب في الفتنة». صحيح البخاري ج٧/ ص ١٨٨، ج٨/ ص٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الفتن، باب «لايأتي زمان إلا الذي بعده شر منه»، ج٨/ ص٨٩، ٩٠ صحيح البخاري (طبعة دار الفكر).

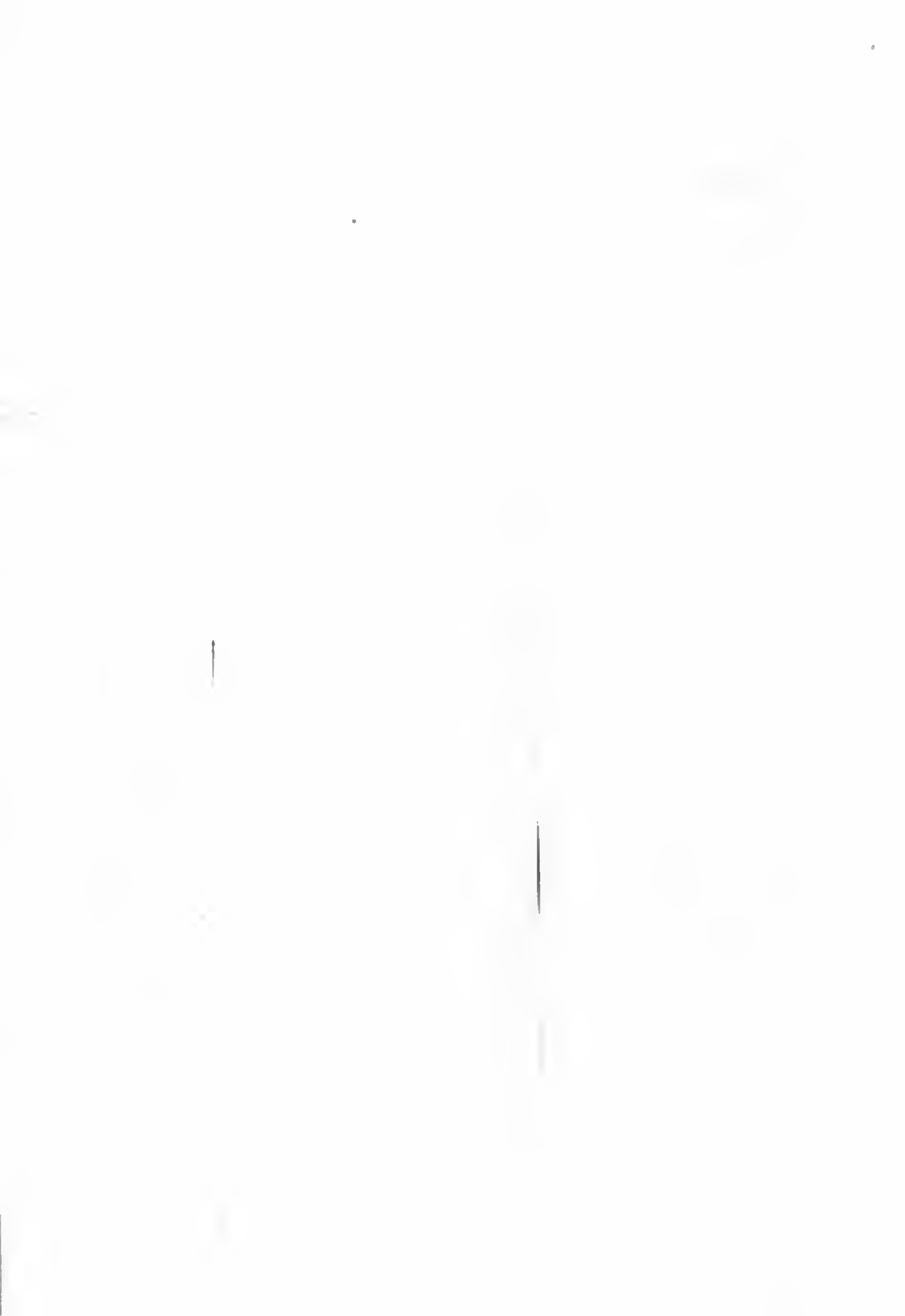
العَرَض العاشر والأخير :

هو اقتناع بعض المسلمين بتشريعات البشر ومطالبتهم بتطبيقها بدلاً من شرع الله، بل وقد طبقوها في كثير من البلدان ، فهم يأتون بشرع غير شرع الله مما يدل على أنهم غير مقتنعين بما عندهم ، وأنهم منهزمون(١) .

❁ ❁ ❁

---

(١) والانهزام هنا هو مرض النفاق الذي عشش في كثير من القلوب التي تضاءلت أمام الغرب ، وما بلغه من علوم وتقنية وتنظيم إداري وفني ، وإن كان على حساب السفول الأخلاقي والروحي للإنسان ، وهؤلاء في أكثر أحوالهم انسلخوا من الدين الإسلامي تماماً حين فضلوا عليه غيره . ولكن هناك صنف من الناس لم يبالوا بعلوم أو تقنية أو تنظيم ، وإنما كان سر هزيمتهم هو الإباحية الجنسية والثورة الشهوانية حيث سعوا إلى تطبيق أنظمة الغرب في هذه الجوانب التي تبيح للمرأة السفور والعري والحرية في العلاقة مع الرجل ، وتسهيل ذلك ، وإباحة الخمور والملاهي والمراقص والحفلات المنحرفة وطبقوها في بلادهم وألزموا الشعوب بها ، ولكنهم لم يحرصوا أبداً على تطبيق أنظمة إدارية قوية تسهل الأمور على الأفراد ، أو شجعوا طلبة العلوم وفتحوا أبوابهم للمبدعين والمخترعين الذين يحتضنهم الغرب . وهنا سر الهزيمة .



ما هي الأسباب لهذا المرض الذي يستشري في الأمة ؟!

هناك أسباب داخلية من عندنا، وهناك أسباب خارجية أدت إلى هذا الوضع الذي نعيشه .

(أ) الأسباب الداخلية :

أولاً:

ضعف الإيمان عند المسلمين، فإذا ضعف الإيمان ضعفت الهمة، ويجلب لهم اليأس، ولايكون الشخص صبوراً متحملاً للمشاق والمصاعب، فتجدهم يتعلقون بالأمور التافهة مما يجعل شخصيتهم ضعيفة منهزمة .

ثانياً:

أن المسلمين تركوا الجهاد، بمفهومه الشامل الكامل، ويوضح ذلك الرسول ﷺ بأن ترك الجهاد يوصل إلى الذل والمهانة، يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح :

«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[1] .

---

(١) ضعيف.

* أخرجه أبو داود: في كتاب البيوع، باب «في النهي عن العينة» ج ٣/ ص٢٧٤ .

* هذا الإسناد فيه إسحاق بن أبي عبد الرحمن، وهو إسحاق ابن أسيد. قال الحافظ في التقريب. ج١/ ص٦٥ : فيه ضعف. كما هو حاصله من التهذيب ج١/ ص٢٢٧ .

كما فيه أيضاً عطاء الخراساني.

قال الحافظ في التقريب. ج٢/ ص٢٣ : صدوق يهم كثيراً، ويرسل ويدلس.

* كما أخرجه أحمد: في المسند ج٢/ ٤٢، ٨٤ من طريقين.

أما الطريق الأول: فعن أبي حباب.

والطريق الثاني: عن أبي جناب، وهو يحيى بن أبي حية، كما صرح الراوي عنه بذلك.

وكلاهما عن شهر بن حوشب عن ابن عمر.

* وشهر، قال الحافظ عنه في التقريب ج١/ ص٣٥٥ : صدوق كثير الإرسال والأوهام.

* أما أبو حباب فهو أبو جناب كما أفادت الرواية الثانية وأيّد =

قوله: « **إذا تبايعتم بالعينة** »[1] أي أن هذا النوع من أنواع البيوع، فيه تحايل على الربا، ـ ولعل شرحه يكون فيما بعد إن شاء الله ـ والمسلمون في هذه الأيام ليسوا في حاجة إلى التحايل فقد أصبحوا يأخذون الربا صراحة ويعطونه صراحة. .

قوله: « **وأخذتم أذناب البقر** » أي كناية عن الحرث، عندما يمسك الإنسان أذناب البقر ويحرث أرضه.

قوله: « **ورضيتم بالزرع** » اطمأننتم ورضيتم بالحياة الدنيا.

قوله: « **وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه**

= ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته على المسند (في استدراكاته على نفسه) ج٨ ص٢٧١ كما أنه ضعف إسناده.

وأبو جناب:

قال الحافظ عنه في التقريب ج٢/ ص٣٤٦: ضعفوه لكثرة تدليسه.

* وهذا الحديث له طرق أخرى ولكنها ضعيفة، انظر: نظرات في السلسلة الصحيحة، لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي.

(١) العينة: بكسر العين المهملة، هو بيع التاجر سلعته بثمن إلى أجل، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن. قلت: وضابطه قبل قبض الثمن.

وتواجه الفتن والمصاعب، وقد تكون الفتن صغيرة جداً عندما يقابل الإنسان أهله وقد التزم بدينه فيواجهونه بالمصاعب ويقفون أمامه، أو بأهل أقاربه أو بأصحابه.

وقد تكون الفتن أكبر عندما يضطر الإنسان إلى السجون أو يضرب أو يقتل، فهذه فتن أكبر من تلك.

فإذن الطريق مليء بالأشواك وهو صعب ويقول الرسول ﷺ في حديث البخاري: «**حفت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**»[1] وفي رواية «**حفت**»[2].

رابعاً:

أن بعض الناس عندما يخطئون يعممون الخطأ، ويعممون الفشل[3] فيعيشون في حالة ضعف مستمر، فتجده يفشل في

---

(١)، (٢) أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب «حجبت النار بالشهوات»، صحيح البخاري، ج٧/ ص١٨٦. ولفظه «**حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**». ومسلم، في كتاب الجنة، ج١٧/ ص١٦٥ (شرح مسلم المجلد السادس).

(٣) الذين يعممون الفشل على أنفسهم لفشلهم في بعض الأمور قد يكونون مضطربين نفسياً، وأما المنهزمون نفسياً فهم الذين قعدوا وتخاذلوا أو تنازلوا عن طريقهم الحق لطريق سهل ذي =

عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » فالعلاج موجود فهو الرجعة إلى الله ليرفع الذل الذي يعيشه المسلمون .

ثالثاً :

الخوف والهلع الذي يصيب المسلمين من المشكلات والمصائب التي تقابلهم في التزامهم بهذا الدين ، أوبإبراز هويتهم الإسلامية ، وكأنهم يظنون أن هذا الطريق مليء بالورود ، بينما هو مليء بالأشواك والمصاعب كما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الم أحَسبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقُولوا آمنَّا وَهُم لا يُفتَنُون. ولقد فَتَنَّا الذينَ من قَبلِهِم فَليعلَمنَّ اللهُ الذين صَدَقُوا وليعلَمنَّ الكاذبين**﴾[1] .

فالذي يظن أن هذا الدين طريقه محفوف بالورود ، وأنه بسيط وسهل ، فهو مخطئ .

ولا يمحص هؤلاء الناس إلا المصائب والفتن والمشكلات التي تقابلهم ، ﴿ **فَلَيعلَمنَّ اللهُ الذينَ صَدَقُوا وليعلَمنَّ الكاذبين**﴾ فالصدق ليس ادعاء بأن تقول : نيتي طيبة وقلبي طيب ، وإنما هو محك حقيقي في الحياة الدنيا عندما تعيش

(١) سورة العنكبوت : آية ١ ـ ٣ .

قضية ويعممها ويقول: أنا فاشل، فيصل إلى حالة اليأس والضعف النفسي.

خامساً:

النظرة الضيقة للتاريخ، أو إضافة إلى ذلك قصر نظرة الإنسان على واقع معين سواء في الزمان أو المكان.

فمثلاً: تجد إنساناً يعيش في بلد ما، فيرى مشكلات بين المسلمين من اختلاف وفرقة، وقد يرى في هذا البلد ضعفاً كثيراً فتجده يعمم، ويعيش حالة اليأس.

كنت أتحدث مع أخ قبل عدة أيام، يقول نحن في بلادنا، الشباب الصغار لم يعودوا يحفظون القرآن.

والكبار الآن يموتون، إذن الآن نحن في ضعف وسنفقد حفظة القرآن في بلادنا.

فهذا وصل إلى حالة من اليأس؛ لأنه حصر نفسه في بقعة من بقاع الأرض، بينما لو خرج إلى الخارج ونظر إلى من حوله لوجد في الناس تيارات إسلامية قوية، لكنه في بلده قد

= سلامة حين عمموا فشل غيرهم على أنفسهم فيئسوا أن ينجحوا أو يفلحوا.

لا يجدها لظروف معينة تعيشها تلك البلاد، فعندما يبعد نظرته ويخرج إلى الخارج ويبحث ويقرأ ويقابل الناس من البلاد المختلفة، ويعرف أوضاع المسلمين، تعطيه قوة ودفعة. فحصر النفس في بقعة محدودة قد يصل بالمرء إلى اليأس.

وأيضاً في المقابل نفس الشيء إذا حصرت نفسك في زمن معين، فلو جئنا وقلنا نحن في هذا الزمان الحواجز قد ملأت خارطة العالم الإسلامي فتفرقت الأمة، والدول نفسها متفرقة، وواقع المسلمين ضعيف، والدعاة في أنفسهم متفرقون وهكذا . . . وهكذا . . . ؛ لأدى ذلك إلى اليأس والضعف.

بينما لو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن فيه عبراً كثيرة جداً. مثلاً: فترة التتار، حيث هزموا المسلمين وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة، وبقوا حوالي أربعين يوماً يقتلون المسلمين واختفى الناس ولم يصلوا الصلاة جماعة في بغداد أربعين يوماً؛ لأنهم يخافون من القتل.

وفي عام (٣١٧هـ) كان القرامطة يحكمون شرق الجزيرة العربية وذهبوا مع رئيسهم أبي طاهر القرمطي إلى مكة في

اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) وقتلوا من المسلمين ما قتلوا وأخذوا الحجر الأسود، وقائدهم يقول: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟

وأخذوا الحجر الأسود ووضعوه في شرق الجزيرة لمدة اثنين وعشرين عاماً إلى عام (٣٣٩هـ) والحجر الأسود خارج مكة في شرق الجزيرة يطوف حوله القرامطة، يريدون أن ينقلوا كعبتهم إلى هناك. - واقع سيئ -.

ومع ذلك رجع المسلمون إلى قوة وعزة.

والصليبيون حكموا بيت المقدس وأغلقوه لمدة واحد وتسعين عاماً لا تصلى فيه الجمعة ولا الجماعات، ووضعت الصلبان فوق بيت المقدس من عام (٤٩٢هـ) إلى عام (٥٨٣هـ).

والآن اليهود لم يجاوزوا الخمسين عاماً والمسلمون يصلون الجمعة والجماعات، ولم توضع الصلبان فوق بيت المقدس، ومع ذلك تجد المسلمين تبرز عندهم علامات الضعف فيقولون: إسرائيل حقيقة ولابد أن نتعاون معها بسلام فلا مجال ولا أمل في أن تخرج.

فالمسلمون في ذلك الزمان الذي حكم فيه الصليبيون بيت المقدس لم يضعفوا ولم ينهزموا، وكانوا يتمثلون أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾[1] . ما هانوا وما حزنوا. . .

اقرأوا التاريخ وابحثوا، اقرأوا البداية والنهاية لابن كثير.

واقرأوا هذه الحادثة في عام (٥٨٣هـ) كيف دخل المسلمون بيت المقدس وأقاموا صلاة الجمعة فيه بعد أن أوقفت لمدة واحد وتسعين عاماً.

فهذا يعطيك أملاً بأن هذا الواقع سيتغير بإذن الله، فعندما تحصر نفسك في فترة زمنية من التاريخ دون النظر إلى العبر في ذلك التاريخ تجد أن ذلك قد يصل بك إلى اليأس والقنوط، وهذه عبر لابد أن نقرأها في التاريخ لتعطينا دفعة إيمانية قوية ونشاطاً وحيوية.

السبب السادس الذي أدى إلى ذلك:

هو أننا لم نعد نعرف طاقاتنا الحقيقية بالتمسك بهذا الدين، تركنا هذا الدين بحيث إننا لا نبحث عن الكوامن القوية التي

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

فيه؛ فيه التشريعات، فيه الأحكام، فيه أمور تكفي لما نحتاجه في خطوط عريضة، توضح لنا ماذا نفعل في حياتنا كلها إلى قيام الساعة.

والحقيقة أنه عيب كبير أن يكون عندنا القدرة وعندنا القوة وعندنا كنوز الأرض ولا يمكن الاستفادة منها. كما يقول الشاعر:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

أنت قادر على أن تؤدي شيئاً، ولكن أكبر عيب أنك لا تؤدي هذا الأمر.

سابعاً:

أن المسلمين أحياناً تكون طموحاتهم قليلة محدودة، تكون هذه مظهراً، وتكون سبباً، فيكون طموحاً محدوداً جداً ولا يفكر في أن يكون صاحب طموح كبير، ويبقى يتهيب صعود القمة فيبقى طوال وقته في سفح الجبل أو في الوديان والقيعان، كما يقول الشاعر:

ومـــن يـتـهـيـب صـعـود الجبـــال

يـعـــش أبـــد الـدهـــر بين الحـفـــر

تروى رواية عن علي بن أبي طالب: «أنه سأل ابنه تريد أن تكون مثل من؟

فقال له أحد أبنائه: أريد أن أكون مثلك، قال له: لا، بل قل إنك تريد أن تكون مـثـل رسـول الله ﷺ؛ لأنك إذا كـان هدفك أن تكون مثل علي فلعلك لا تصل إلى علي؛ ولو كان هدفك الرسول ﷺ وهو قدوتك، فقد تكون أفضل من علي ابن أبي طالب!!»[1].

فبقدر ما يكون طموح الإنسان كبيراً، بقدر ما يكون عنده الاستعداد لأن يصل إلى ذلك الطموح.

ثامناً:

عيش المسلمين في قضية عقدة المغلوب، فعندما يكون الإنسان مغلوباً ومنهزماً تجده يقلد ويأخذ ما عند غيره بخيره وشره.

وابن خلدون يصف هذه النفسية في مقدمته فيقول:

---

(١) لم أجد لها أصلاً.

« إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسبب أن النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها، وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، وإنما هو لكمال الغالب».

وهذا تجدونه واضحاً عندنا، وهو التقليد في كل شيء.

(ب) الأسباب الخارجية:

أما الأسباب الخارجية التي تؤثر على المسلمين، في بث الهزيمة النفسية، **فمنها:**

« قوة الأعداء »[1]، والمبالغة في تضخيمها، فأناس يقولون روسيا وأمريكا عندهم قوة، ولضعف اليقين عند هؤلاء يحتقرون أنفسهم بالنسبة لهذه القوة القوية.

---

(١) لعل قوة الأعداء بحد ذاتها لا تسبب الهزيمة النفسية إلا عند من فقدوا الثقة بنفوسهم وبعقيدتهم وفقدوا مقومات تحقيق ذواتهم في الحياة فانصهروا بما قدموا لهم وما سمعوا عنه وشاهدوه، وأما من ملك الإيمان بالله وحقق ذاته في الحياة بدينه ورسالته في البشرية، فإن قوة الأعداء تكون دافعاً لمحاسبة الذات وللعمل الجاد الدؤوب في سبيل تحقيق الغاية والهدف في هذه الحياة.

لكن لو نظروا إلى جنود الله سبحانه وتعالى **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾**[1] لوجدوا زلزالاً واحداً يهدم مدينة كاملة، كالمكسيك مثلاً، وسان فرنسسكو في أمريكا يأتيها زلزال يهدمها كلها، والقوة النووية تنقلب ضدهم، فهذه حادثة «تشرنوبل» تقتل منهم أعداداً كبيرة جداً وترعبهم بحيث إنهم الآن يفكرون في إيقاف مثل هذه القوى.

فلعل المسلم الذي عنده يقين، يعلم أن هناك جنوداً لله سبحانه وتعالى، ومع ذلك يسعى في اتخاذ الأسباب.

السبب الثاني:

أن الغرب يستخدمون الحرب النفسية في استعراض عضلاتهم وهذا الأمر لا يصده إلا إيمان وصبر وتقوى.

يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾**[2].

السبب الثالث:

أن هناك طابوراً خامساً من أبناء المسلمين من أبناء جلدتنا

---

(١) سورة المدثر: آية ٣١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٠.

ويتكلمون بلغتنا يربيهم الأعداء في أحضانهم فيرجعون إلى بلادنا يطالبون بكل هذه الأمور التي تدل على الانهزام؛ لأنهم تقمصوا شخصية الغربيين.

السبب الرابع:

أن الأعداء يعرفون في نفس الوقت مكامن الضعف عند المسلمين في هذا الزمان فيغزونهم من ذلك الأمر، من جهة الشهوات، فمثلاً: لويس التاسع ملك فرنسا سُجن في المنصورة في مصر عندما شن حملة عليها، فأسر فيها وسجن لمدة أربع سنوات، في هذه الفترة درس نفسية المسلمين، فلما خرج منها ذهب إلى قومه وقال: «لن تهزموا المسلمين بكثرة الجيوش ولا بقوتها، ولكن ستهزمهم جيوش النساء، وستهزمهم قوارير الخمر».

وعلى ذلك يعملون الآن، فهم الآن إذا أرادوا أن يتحكموا في العالم. كيف يتحكمون؟!

إنهم يتحكمون من جهة الشهوات، فالماسونية مثلاً: لها طريقة خبيثة جداً، يعملون لهم نادياً مثل: «نادي الروتاري» أو «نادي الليونز» من أندية الماسونية بحيث يأتي إليها أكابر

الشخصيات، وليس الشباب الصغار فهم يريدون أن يلتقوا «بتلك الشخصيات الكبرى من حكام ووزراء وغيرهم»[1].

فيأتي هؤلاء إلى النادي فيأتونهم بالخمر والنساء ويأخذون عليهم وثائق، كصورة في وضع مشين، كأن يكون هذا الرجل عارياً، أو يكون مع امرأة في غرفة، وهناك كاميرات خفية تصور ثم ينسخون شريط الفيديو، ثم يكون هذا الشريط بعد ذلك وثيقة عليه، ثم يساومونه فيقولون له:

بكَم تشتري هذا الشريط، نريد أن توظف فلاناً عندك، ويكون هذا مدير مكتبك، وهذا كذا، فلايستطيع هذا الإنسان أن يقول لا؛ لأنه سيفضح، وهو شخصية مهمة، فكيف يفتضح؟

وأيضاً: وثائق تثبت عليه سرقات مالية وقضايا مادية أيضاً تضبطه؟

وهكذا يتحكمون في كبار الشخصيات في العالم.

لكن هؤلاء الشخصيات لو أنهم لم يهزموا من جهة النساء

---

(١) ولوجود الهزيمة النفسية لدينا، فهؤلاء هم الذين تتطلع إليهم الأنظار ويتصدرون فينا، ويتولون التوجيه في بلاد المسلمين.

وقوارير الخمر، ولم ينهزموا في قضية الرشاوي، وأخذ الهدايا التي تسمى هدايا، لأصبحوا شخصيات مستقلة نزيهة، ولما أمكن أن يؤثر فيهم أولئك الناس...

فهذه مكامن الضعف عند المسلمين إذا غزوا من جهة الشهوات، ومن جهة النساء وقوارير الخمر...



ما العلاج من هذا المرض الذي تعاني منه الأمة ؟!

أولاً:

أن نعرف سبب المشكلة؛ بأن نعرف أن هناك هزيمة نفسية، وسببها البعد عن هذا الدين، حتى أصبحنا في هذا الضعف، ومعرفة المشكلة هو نصف الحل.

ثانياً:

لابد من التربية على الإيمان الصحيح، وأول خطوة في طريق الألف ميل هذه هي التزام المسلمين شباباً وشيوخاً، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً بهذا الدين، الالتزام الصحيح. وأن يتربوا على هذا الدين الحقيقي الذي يجعلهم لا يخافون إلا من الله سبحانه وتعالى.

وهذه العقيدة السليمة التي هي ليست فكرة فقط موجودة في الأذهان، ولكن يجب أن تكون حقيقة، والعجيب أن

بعض الناس يقولون: لماذا تدرسون العقيدة؟ لماذا لا نتكلم عن الشيوعية؟!

فأقول: إن العقيدة تعطيك القوة وتعطيك الاستقلالية[1]، وأعطيكم أمثلة لهذا الأمر:

الجاهليون عندما كانوا ينزلون بواد يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه - أي من الجن - لأنهم كانوا يخافون من الجن. ونحن لا نستعيذ إلا بالله سبحانه وتعالى، ولا نلتجئ إلا لله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأننا عرفنا عقيدتنا في موضوع الجن، فنعلم أن من الجن الصالحين وغير الصالحين ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا** ﴾[2] ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا**

---

(١) في هذا الوقت الدارسون للعقيدة في مناهج الدعاة أصناف، فمنهم من يدرسها على أنها علم من علوم الشريعة، ولكنه لا يتعمق فيها ولا يطبقها على الواقع في حياة الناس، ومنهم من يدرسها ويفاصل من أجلها في جوانب منها معينة كالأسماء والصفات وبعض أنواع الشرك كالتوسل بغير الله، والطواف بالقبور وأضرحة الأولياء، ولكنهم لا يتطرقون إلى غير ذلك مما لا يقل عنه أهمية: كأنواع الشرك الأخرى، مثل: شرك الطاعة والاتباع، والشرك في الولاء والبراء.

(٢) سورة الجن: آية ١١.

المسلِمُون وَمِنّا القاسِطون﴾[1] وأن من الجن من هم دعاة.

وهم خلق من خلق الله لا يضرون ولا ينفعون.

هذه العقيدة التي نعرفها نحن تعطينا قوة وتعطينا يقيناً.

فأفهم كيف أتحرك في هذا العالم، إنها تعطيني شخصية قوية فعلاً.

مثال آخر: موضوع الطيرة، يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: « **لاطيرة وأحب الفأل الصالح**»[2] ويقول الرسول ﷺ: «**لاعدوى ولاطيرة**»[3] هذه الطيرة كان الجاهليون إذا أراد أن يسافر أحدهم فرأى طيراً أسود، أحجم

---

(١) سورة الجن: آية ١٤.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الطب، «باب الفأل» ج٧/ ص٢٧، صحيح البخاري، ومسلم في كتاب السلام، باب « الطيرة والفأل. . . » ج١٤/ ص٢١٨ (شرح مسلم، المجلد الخامس، طبعة الريان).

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الطب، باب الجذام، ج٧/ ص١٧. صحيح البخاري (طبعة دار الفكر).

ومسلم، في كتاب السلام، باب « لاعدوى ولا طيرة. . . » ج١٦/ ص٢١٣ (شرح مسلم، المجلد الخامس، طبعة الريان).

عن سفره وغير قصده؛ لأنه يخشى أن يحدث له أمر سيئ. وهذا انهزام داخلي ولا شك.

والمسلم عندما يعرف العقيدة الصحيحة، ويعرف أن هذا باطل، وأن أولئك الجاهليين يعيشون هذا الضعف عندما يرى طيراً أو غيره، فلماذا يتشاءم، من أي قضية؟! فعندما يتعلم المسلم هذه العقيدة يكون قوياً فعلاً ويكون له دور في حياته فعال.

ولكنك تجد من المسلمين الآن من يعيش على هذه الخزعبلات والخرافات، كالذي يضع حذوة حصان على باب بيته، والذي يعلق حذاء طفل صغير على سيارته لكي يحفظها من العين، فهو خائف من العين والحسد والجن، ويعيش في هلع ورعب.

ولكن المسلم الذي يؤمن بعقيدته حقيقة وعلى منهج صحيح يعيش مطمئناً، ويعرف كيف يتعامل مع مجتمعه، ومع حياته، ومع الناس، ويعرف أنه لا يكون الخوف إلا من الله سبحانه وتعالى، وأن الرزق لا يكون إلا بيد الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يخضع لأمر محرم؛ لأنه متيقن

من أن الرزق بيد الله.

وأنا أعطيكم حادثة جميلة جداً لأحد الأخوة الجزائريين التقيت به في لندن، يقول: وقد ذهب لكي يعمل في فندق، فقال له صاحب الفندق بعد المقابلة الشخصية: إذن لنحتفل. ونحن سننظر في أمرك، ولعلنا نذهب لنشرب الخمر في البار، فتردد هذا الشاب كثيراً، وقال: هل أرضي هذا الإنسان حتى لا يقطع رزقي، فأنا لا أشرب الخمر، فيقول: قررت أن أقول له لا، وإذا لم يقبلني في الوظيفة فلا يقبلني.

فقلت له: أنا لا أشرب الخمر وأنا مسلم، فقال لي: صحيح! فقلت: نعم، قال: أنت مقبول من الآن، قلت: كيف هذا الأمر؟! قال: مشكلتنا مع الموظفين في هذا الفندق، أنهم يسهرون في الليل إلى وقت متأخر يشربون الخمر، ولا يأتون إلا متأخرين في النهار، فأنت أول من نقبلهم.

فالإنسان عندما يعرف أن الرزق بيد الله، فالله سبحانه وتعالى يفتح له أبواب الرزق.

فهذا الإنسان ما كان في حسبانه أنه سيقبل في هذه الوظيفة بعد أن قال أنا مسلم لا أشرب الخمر.

فالإنسان المؤمن عندما يفر بدينه فعلاً سيجد أن هذه مفاتح للقوة.

فهو يرضي الله سبحانه وتعالى، وسوف يتحقق له مكاسب حتى في الحياة الدنيا.

ثالثاً:

أن نبتعد عن التعلق بهذه الدنيا، وأن نرتبط بالآخرة فهي تجعلنا أقوياء أعزاء، نبتعد عن قضايا البحث عن المجالات التي فيها تعلق بهذه الحياة ويضر بديننا.

فتجد أناساً يتبعون الموائد، والولائم، هَمّهُم هذه الولائم، فتعلق قلب الواحد منهم بها، فأصبحت شخصيته ضعيفة منهزمة.

فتجد العالم الذي له شخصية مستقلة عندما يعطى هدية وهو في هذه المكانة يرفضها ويقول: تسمح لي أنا رجل لا أقبل الهدايا، فهذا لم يتعلق قلبه بالدنيا، ولذلك يكبر في أعين الناس، ويكون له أثر قوي جداً. ونحن نكون أقوياء نفسياً ومعنوياً عندما نكون بعيدين عن التعلق بهذه الحياة الدنيا.

وهذا واقع فالحكام على مدار التاريخ يقدرون ذلك

الإنسان الذي لا يتعلق بالدنيا، حتى أن بعض الحكام المتقدمين كان يبحث عن أحد العلماء ويقول له: لماذا لا تأتينا؟!

فيقول العالم للحاكم: أريد أن أطلب منك طلباً واحداً فقط؛ وهو أن تأمنني على حياتي.

فقال له: لك هذا الطلب، فقال له العالم: لا تدعني إلى مجلسك إذا لم آت، ولا ترسل إليّ مالاً إذا لم أطلبك. وأحرج هذا العالم الحاكم؛ لأنه كان طاغية، وعرف الحاكم أنه لن يستميل هذا العالم أبداً.

فالبعد عن التعلق بالدنيا يمنحنا الشخصية القوية المستقلة.

رابعاً :

الرجعة إلى التاريخ رجعة جيدة. لنقرأ كتب السير والتاريخ، ولا نقرأها للتسلية، بل نقرأها للعبرة.

اقرؤا البداية والنهاية في أحداث التاريخ، وفي سيرة الرسول ﷺ وما بعده، وما حدث للمسلمين، يعطكم تصوراً عن واقع المسلمين يدفع إلى الأمل.

ولا ينغلق ذهنك على قضية موجودة الآن حاصلة تراها

خطأ موجوداً عند المسلمين يطبقونه فتبدأ تيأس وتقول: إذن نعتزل الناس كلهم؛ إذا كان الدعاة بهذا الواقع السيئ.

وهذا خطأ فعليك أن تقرأ التاريخ جيداً وتعرف أين مكامن القوة وكيف طريق الرجعة فترجع إلى دينك.

خامساً:

لابد أن نتربى أيها الشباب على العلو في الهمة، نتربى على الهمم العالية، كما كان الرسول ﷺ يربي أصحابه؛ كان يربيهم على كسب الرزق عن طريق الكدح، وعن طريق العمل، ويأمرهم بالترفع عن مسألة الناس.

فالإنسان يجب أن يكون مستقلاً مادياً ومعنوياً، وليس هناك مدخل عليه لأعدائه، ولا يكون ضعيفاً، وبعض المسلمين هنا يعيشون معظم حياتهم على المال الذي تعطيه هذه الدولة[1].

إذن لابد أن يقبل كل ما عندهم، بينما لو استطاع أن يعمل لأقام مؤسسات عملية اقتصادية، يستقل بها المسلمون ليصبحوا أقوياء ذوي قوة وقدرة يجابهون بها الكفار.

---

(١) المقصود بريطانيا؛ لأن المحاضرة ألقيت هناك.

وقد ذم الرسول ﷺ التواني والكسل، ويعلمنا الدعاء **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»**(١) .

فيتعوذ الإنسان صباحاً مساءً من العجز والكسل .

وحديث مسلم الذي يقول الرسول ﷺ فيه : **« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير»**، وحديث آخر **«احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»**(٢) . فلا تقل لو أني فعلت وفعلت وفعلت، وتبقى تلوم نفسك وتعيش

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الدعوات، باب «التعوذ من غلبة الدين»، ج٧/ ص١٥٨ . صحيح البخاري (طبعة دار الفكر) . ومسلم، في كتاب الذكر، باب «الدعوات والتعوذات»، ج١٧/ ص٢٩، ٣٠ (شرح مسلم، المجلد السادس، طبعة الريان) .

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب القدر، باب « الإيمان للقدر والإذعان له»، ج١٦/ ص٢١٥ . (شرح مسلم، المجلد السادس، طبعة الريان) .

على ماض تتحسر عليه.

المسلم لابد أن تكون عنده نفسية قوية فإذا أخطأ، أو حصلت له مشكلة فيقول: «قدر الله وما شاء فعل» ويبدأ من جديد ويعمل للمستقبل.

«ومعروف عند الأطباء النفسانيين أن لوم النفس يورث الاكتئاب»[1].

فإذا بدأت تلوم نفسك فيمكن أن تصاب بحزن شديد؛ لأنك تلومها؛ وهذا قد نهانا الرسول ﷺ عنه، وحثنا أن نقول عند المصيبة: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» أو نقول: «**قدر الله وما شاء فعل**».

---

(١) لوم النفس على الزلة والخطأ والذنب أمر فطري وهو قوة نفسية ومشاعر تعتلج في النفس، فإما أن توجه وتصرف في صورة إيجابية دافعة إلى الأفضل والأحسن، وذلك باستدراك الخطأ وتلافي آثاره والبناء للمستقبل لعمل صواب يرضي النفس ويريحها، وهذا ما يريده الإسلام، وإما أن يأسر لوم النفس المرء فيعيش في الهم والغم، ويدور في حلقة مفرغة فينقلب الحنق والغضب من النفس على النفس، ويقع التحسر واللوم موقع اليأس وفقدان الأمل من التوبة والإصلاح فتسودّ الدنيا في العينين، وتكتئب النفس ويضيق الصدر، وهذا هو الاكتئاب.

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود: «**إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر، فقل: حسبي الله ونعم الوكيل**»[1] يعني لا تلم نفسك طوال وقتك، ولكن قل حسبي الله ونعم الوكيل، واستمر حتى تعطيك أيضاً قوة في نفسيتك. وقوله: «**الكيس**» هو الخفة والتوقد والنشاط في العمل، والتصرف والعقل والرفق والسلامة؛ يعني عليك بالتوقد والخفة والعمل، وإذا حصلت لك مشكلة أو عثرة أو عقبة فقل: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»، وتبدأ مرحلة جديدة.

سادساً:

لابد أن نبتعد عن التشاؤم والمتشائمين، وأن نعلم أن

---

(١) أخرجه أبو داود، في كتاب الأقضية، باب «الرجل يحلف على حقه»، ج٤/ ص٤٤، ٤٥. سنن أبي داود (طبعة دار الحديث). كما أخرجه أحمد في المسند، ٦/ ٢٥. وكلاهما عن عوف بن مالك والإسنادان فيهما بقية بن الوليد، قال الحافظ في التقريب: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء. ج١/ ص١٠٥، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير ج٢/ ص١٢٧. انظر الكلم الطيب ص١٣٧.

المستقبل لهذا الدين، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى، وهناك أحاديث كثيرة توضح أن المستقبل لهذا الدين.

إضافة إلى ما نراه الآن من واقع المسلمين. من أن هناك رجعة قوية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الذين آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذين مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[1].

بشرط أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، عبادة بمفهومها الشامل، مع الخلوص من الشرك. يقول الرسول ﷺ: «**لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»[2]..

لم يأت هذا الزمان حتى الآن.

---

(١) سورة النور: آية ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الفتن، ج ١٨/ ص٤٤، ٤٥. (شرح مسلم، المجلد السادس).

وحديث ثوبان الذي رواه مسلم، يقول الرسول ﷺ:
«إن الله زوى لي الأرض - أي ضمها لي - فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها.. »[1] الحديث... فسيبلغ ملك هذه الأمة ما زوي للرسول ﷺ منها، وهو رأى مشارقها ومغاربها، وحتى الآن لم يحصل ذلك. ويقول الرسول ﷺ: « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله «بيت مدر»**[2] **ولاوبر، إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»**[3] رواه ابن حبان وصححه الألباني.

---

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الفتن، ج١٨/ ص١٣ (شرح مسلم، المجلد السادس).

(٢) المدر جمع مدرة وهي: البنية تصنع من الطين المتماسك، ويكنى به عن أهل المدن، وهم الحاضرة، والوبر هو شعر الإبل، ويكنى به عن أهل البادية؛ لأن بيوتهم تصنع من الوبر، فمعنى الحديث أن الإسلام سيبلغ الحاضرة والبادية. انظر لسان العرب مادتي مدر ووبر، والنهاية في غريب الحديث.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، في المسند ج٤/ ص١٠٣، ج٦/ ص١٠٤ من طريقين:

* أما الطريق الأول - فهو عن تميم الداري. =

حديث آخر: عن أبي قبيل قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية، فدعى عبد الله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتاباً، فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية فقال الرسول ﷺ: **مدينة هرقل تفتح أولاً - يعني القسطنطينية**»[1] رواه أحمد وغيره وصححه الألباني. يقول:

= قال في الفتح الرباني: لم أقف عليه، وسنده جيد ج١/ ص٩١ وفي الإسناد صفوان بن مسلم كما في المسند. وذكره هو صفوان ابن عمرو.

* أما الطريق الثاني - فهو عن المقداد بن الأسود. قال في الفتح الرباني: قال في التنقيح: أخرجه الحاكم وسنده حسن، والطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن الكبرى.

* أما قول المؤلف رواه ابن حبان وصححه الألباني فإن كان يقصد الرواية التي فيها عبد الله بن هانئ، فقد قال فيه صاحب مجمع الزوائد: ج١٠/ ص٦٠: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن هانئ المتأخر إلى زمان أبي حاتم وهو متهم بالكذب.

* وأما تصحيح الشيخ الألباني له، ففيه نظر:

انظر: نظرات في السلسلة الصحيحة، لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي.

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٢/ ص١٧٦. قال في الفتح الرباني =

« تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ـ ثم سكت ـ »[1] .

وهذا هو الشاهد «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» وبعض الناس يظن أن قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[2] أن ذلك قد تم وانتهى، ولن يتكرر بعد. وهذا خطأ؛ لما في الحديث الذي ترويه عائشة: «قال رسول الله ﷺ:

= ج٢٤/ ص٥٩ : أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل وهو ثقة. ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر.

* وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته على المسند، ج١/ ص١٣١، إسناده صحيح.

(١) أخرجه الإمام أحمد، في المسند ج٤/ ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة : آية ٣٣.

« **لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[1] أن ذلك تاماً ـ أي أن ذلك قد تم ـ، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله**»[2]... الحديث.

وهذه الأحاديث تدل على أن المستقبل لهذا الدين[3].

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٨، ٢٨٤ بمعناه ولفظه « **لاتقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان** ». انظر الفتح الرباني ج٢٤/ ٣١ وقال: رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه...، وقال الترمذي: حسن صحيح. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١/ ص٦.

(٣) إن اليقين بأن المستقبل لهذا الدين لايعني بأي حال التفاؤل البعيد عن الواقع وعدم الأخذ بالأسباب والإعداد بكل صوره وأنواعه، كما أنه لايعني عدم المحاسبة ونقد الذات لتصحيح المسيرة.

فالمستقبل لهذا الدين لا يتحقق بالمعجزات السحرية، وإنما بالعمل والبذل والدعوة إلى الله من خلال منطلقات صحيحة وعلى منهج أهل السنة والجماعة بإعداد متكامل وشامل ليتحقق الهدف في أن يكون الدين لله، وفقدان هذه المقومات يبعدنا عن =

والوقت يضيق على أن أتحدث عن أن هناك رجعة قوية جداً تدل على أن المستقبل لهذا الدين.

وتوقعاتنا ـ بإذن الله ـ أنه لابد أن يتحقق نصر الله في هذه الأمة...

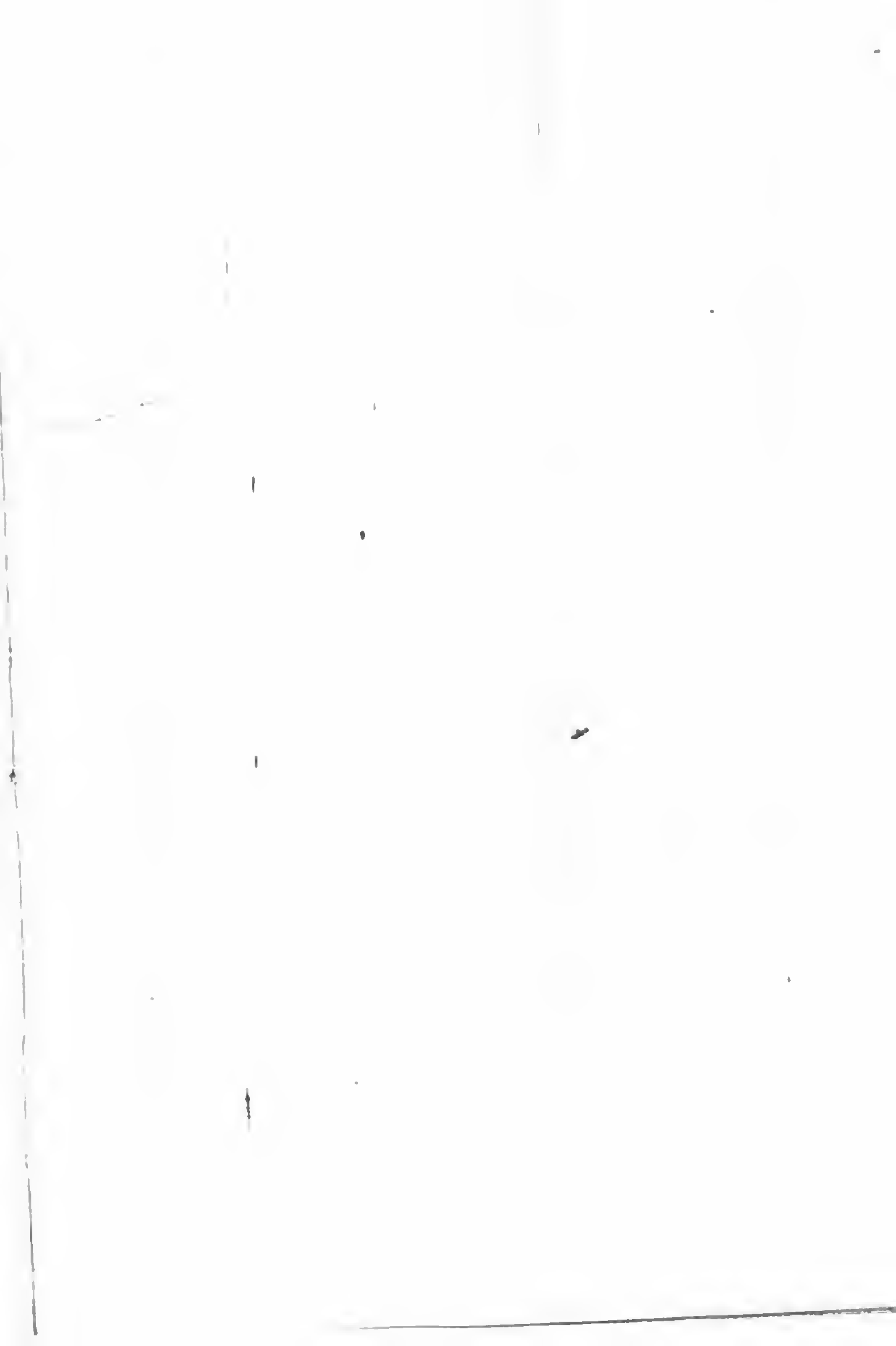
فنسأل الله أن يجعلني وإياكم بعيدين عن التشاؤم والمتشائمين، وأن يجعلنا من أصحاب النفسيات القوية التي تقدم ولا تدبر..

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

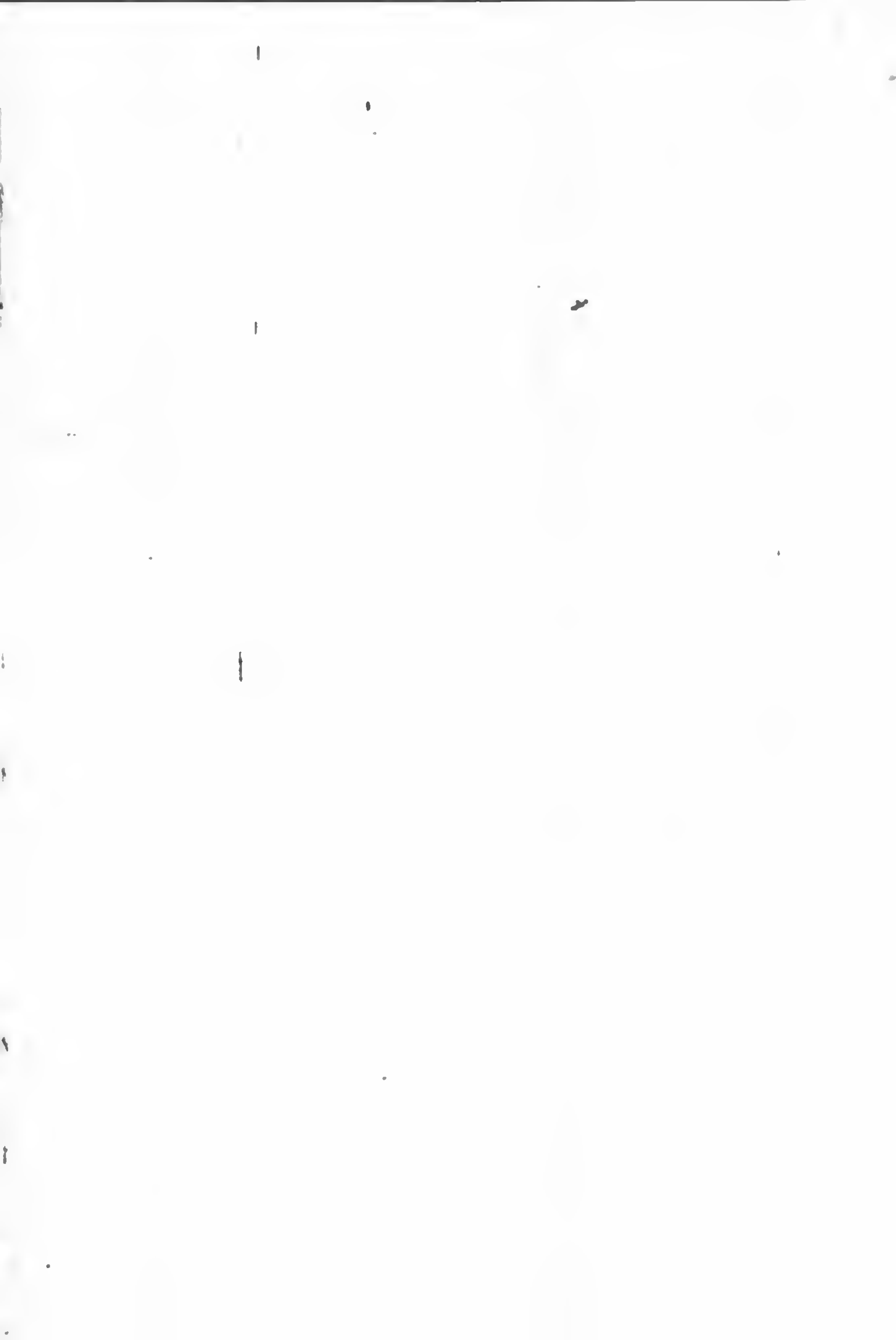
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

= أن يكون المستقبل لهذا الدين على أيدينا، وهذا ما يجب أن نسعى إليه، وأما التفاؤل على مدى الزمن فهذا يقين لا نشك فيه من أن الظهور والهيمنة لهذا الدين، ولكن في أي زمن وعلى يد من؟ لاندري. وأما الهزيمة النفسية بفقدان الأمل واليأس فهذا ما عناه المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له ولنا أجمعين.

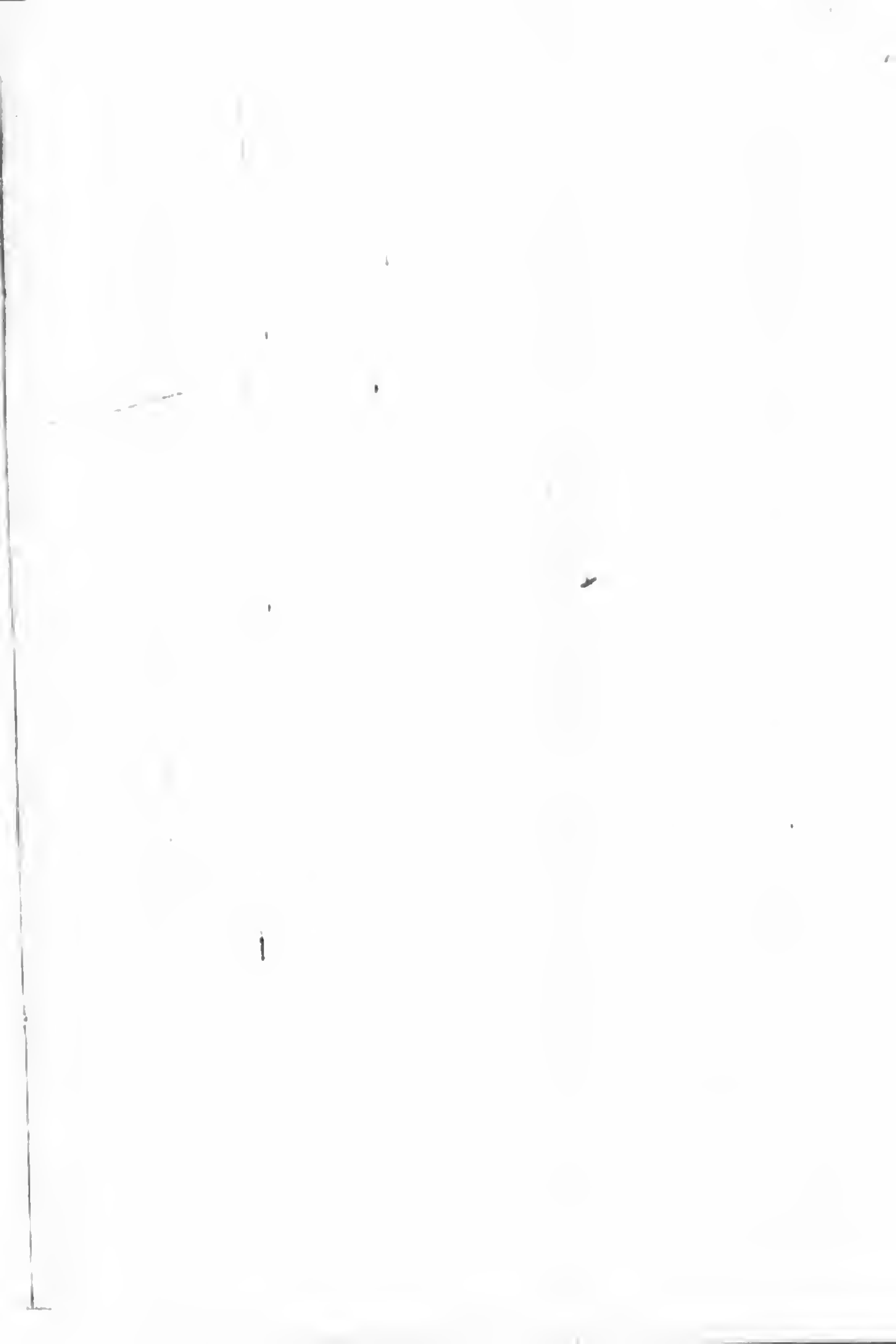


فهرس الآيات

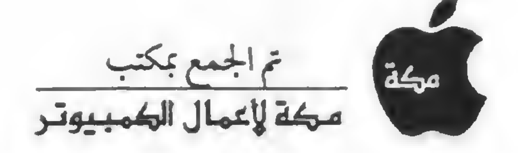


فهرس الأحاديث

فهرس الآثار



فهرس الموضوعات



مكة
تم الجمع بمكتب
مكة لأعمال الكمبيوتر